تساؤلات
حول شخصية الشيخ الطيب العقبي

بقلم :الدكتور/ محمد ناصر بوحجام*

إن شخصية الشيخ الطيب العقبي غير واضحة المعالم عند كثير من المثقفين والباحثين، فضلا عن عامة الناس؛ رغم ما قدمته هذه الشخصية من خدمة جليلة للفكر الاسلامي، والنهضة الجزائرية بخاصة .أسباب ذلك وعوامله كثيرة محيرة ومبهمة .

إلا أن هناك محاولات قليلة، أضاءت جوانب قليلة من حياة الشيخ الطيب العقبي المبثوثة في أثناء بعض الدراسات الأدبية والتاريخية، والمقدمة في مناسبات خاصة .

فالرجل شخصية عظيمة، والعظيم من الصعب على كل الناس أن يفهموه، ويعوا أفكاره، ويفقهوا مواقفه، ويعلموا حقيقة ما يخطط ويدبر ...

هنا لابد أن نشيد بدراسة الأستاذ أحمد مريوش الموسومة بـ :" الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية " فهي وإن بقيت في العموميات وحاولت التطرق إلى مختلف جوانب حياة الشيخ الطيب العقبي. فهي رائدة ومهمة وقيمة؛ لأنها قدم بعض المفاتيح في شخصية الشيخ. وما قدمه الأستاذ هو ما ينتظر أية دراسة رائدة في أي موضوع، وخاصة في غياب مجموعة من المعطيات والمعلومات التي تعين على فهم حقيقة الرجل، وفي وجود ثغرات كثيرة في حياته.حاول الباحث رصد مراحل حياة الطيب العقبي، والتحدث عن طفولته ونشأته

* أستاذ في الأدب الجزائري بجامعة باتنة.

وتكونه، وعما ميز كل مرحلة من حياته، وعن أوجه النشاط التي تعاطاها، والرحلات التي قام بها، وعن علاقاته مع العلماء والزعماء. وحرص على سرد الهزات التي تعرض لها في حياته. وأفصح عن بعض مواقفه مع أصدقائه وخصومه والمناوئين له كما أفاض في الحديث عن عمله في محاربة البدع والخرافات والفكر الطرقي، وذكر جملة من الأعمال التي ميزت حياة الشيخ، الى غير ذلك من المعلومات القيمة التي حملتها هذه الرسالة وهذا البحث الجاد(1). وما تميزت به هذه الدراسة هو تنوع مصادرها ومراجعها وتعددها .

إن الشيخ الطيب العقبي قد فتح على نفسه واجهات كثيرة : واجهة مع المستعمر وأذنابه، ومن يسير في ركابه، وينفذ مخططاته وسياسته، ويرضخ لضغوطه أو اغراءاته، وواجهة مع الطرقيين، وواجهة مع رجال الحركة الإصلاحية أنفسهم، وواجهة مع رجال الحركة الوطنية كما يسمون كل ذلك لأن الرجل يتميز بالصدق مع نفسه قولا وعملا، ومع المواقف التي يتبناها، والصلابة أم التصلب أحيانا، وعدم الليونة والمرونة في بعض المواقف - سواء كان مصيبا أم غير مصيب - والثبات على المبادئ والجرأة والشجاعة التي تغضب الكثيرين، وبسبب الأنشطة التي كان يقوم بها، والمجالات التي كان يتحرك فيها؛ مما يسبب الاحتكاك المتواصل المستمر بمختلف الفئات والمواقف والأفكار والمستويات، وبسبب ما يتميز به من عمق التفكير وبعد النظر، واستشراف المستقبل، بما قد يخفى على الكثيرين، فيفسرون أفكاره وآراءه وتصريحاته تفسيرات خاطئة؛ مما يدفعهم إلى اتخاذ مواقف خاصة منه .

عن ميزتي التصلب والاعتداد برأيه قال الشيخ محمد علي دبوز :" ... وأورثه الاعتداد بالنفس الثقة برأيه ثقة زائدة في مقامات المداولة. وذلك هو طبع كل الزعماء، إنه المزية التي تكون أحيانا من العيوب ."(2)

وقال الأستاذ محمد الطاهر فضلاء :" ... والشيخ العقبي إذا رأى الحق في رأي، استمسك به، وصمد صمود الرواسي في المطالبة به، حتى ولو أدى ذلك إلى خصام مرير ..."(3)

لقد كثر اللغط والولوغ في عرض الطيب العقبي، والثلب في شخصيته؛بسبب استقالته من إدارة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وخلافه مع بعض المصلحين في بعض أساليب الإصلاح، وفي تحفظ آخرين في بعض ممارساته ...

ومما يدل على إجحاف حقه أنه لا يذكر مع أهم الأحداث التي جرت في شهر ماي مثلا، حين يحتفل بهذا الشهر، ويسجل من بين الشهور التي تذكر فيه ذكريات مهمة . مثل تأسيس جمعية العلماء يوم 05 ماي 1931م . أحداث 8 ماي 1945م. يوم الطالب : 19 ماي 1956م، وفاة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يوم 19 ماي 1965م، تأسيس معهد الحياة يوم 21 ماي 1925م(4) مع العلم أن وفاة الشيخ الطيب العقبي كان يوم 21 ماي 1960م .

نريد من خلال ما ذكرناه من شذرات. وانطلاقا من هذه المعطيات الموضوعية أن نفهم شخصية الشيخ، ونريد أن نصل إلى منهجية محكمة تساعدنا على تحقيق هذا الهدف.

في هذا التدخل البسيط أريد أن أعرض عليكم - أيها السادة الحاضرون - بعض اللمحات في حياة الشيخ الطيب العقبي عرضا مركزا هادفا موجها، لإثارة الباحثين لدراسة حياة الرجل دراسة معمقة موضوعية جادة. وفي الوقت نفسه أقدم بعض الأسئلة التي تفرض نفسها، وتلح علينا أن نجيب عنها؛ للولوج إلى أعماق حياة الرجل، بل نفسه، للتعرف عليه أولا، ثم التعريف به بعد ذلك.

أولا : حياة الشيخ الطيب العقبي:

حياته الإصلاحية يمكن تقسيمها إلى مراحل ثلاث :

1- نشاطه في الحجاز ضمن برنامج النهضة العربية الإسلامية .

2- عمله في حقل الإصلاح الإسلامي في الجزائر بعيدا عن التأثير الفرنسي، أولا في بسكرة (1920-1931م) ثانيا في الجزائر العاصمة بداية من سنة 1931م. تنحصر هذه الفترة ما بين عودة العقبي من الحجاز إلى حادثة اغتيال المفتي كحول، وانعقاد المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، وبداية قيام الحرب العالمية الثانية.

3-بعد سنة 1936 - بخاصة - وقد اصبح سياسيا، عرف فيه الاعتدال، وقد حاولت فرنسا استدراجه إلى صفوفها، وكان هو يتقرب أكثر إلى الإدارة الفرنسية، وبعد الحرب العالمية الثانية، غير نظرته إلى سياسة فرنسا، وتغير

أسلوبه في تناول سلوك الطرقيين ونشاطهم. كما كانت له مهاترات كلاميّة أو كتابية مع بعض الجهات، وبعض الصحف.ربما عدت هذه الفترة مرحلة رابعة من حياته .

نشير -هنا- إلى أن أنشطة الشيخ الطيب العقبي بالجزائر، كان معظمها في العاصمة، وبالقرب من مركز السلطة الفرنسية، ومن ثم كانت مليئة بالأحداث المهمة والشائكة في آن واحد.وقد نشط كثيرا في نادي الترقي بخاصة ومساجد العاصمة بعامة. وقد كان من مآثره الاجتماعية في العاصمة أنه استطاع أن يروضها، ويصلح كثيرا من أخلاق شبابها، وأن يجلب إليه، والى مجالسه الوعظية العمال من الحانات، ومحلات التدخين وتناول الحشيش، والمعاهر وبيوت الدعارة، والعمل نفسه قام به مع عمال الميناء، الذين كان يسميهم " الجيش الأزرق "(5) قال الأستاذ أحمد مريوش : " وقد تمكن العقبي خلال فترة وجيزة من ترويض العاصمة واخراجها من فوضويتها الاجتماعية، وكل ذلك مكن من تكوين حلف يناصره، كما يعتبر وجود العقبي في العاصمة إحدى محطاته الإصلاحية بعد الحجاز وبسكرة، وكل ذلك يندرج في ميلاد جمعية العلماء، التي سرعان ما احتضنها نادي الترقي، واصبح العقبي خطيبها وممثلها في العاصمة ".(6)

ثانيا : جوانب نشاطه :

1-كل ما يتمحور حول الإصلاح: مفهومات، وأفكارا ووسائل ...

2- كتب شعرا.

3- ترك خطبا كثيرة في مختلف المناسبات.

4- نشر المقالات العديدة في مختلف الصحف داخل الوطن وخارجه.قال الدكتور محمد ناصر :"...أما الطيب العقبي فإنه الكاتب الذي نحسبه أعطى حياته كلها لمحاربة الانحراف الديني، وقاومه بكل ما يملك من مواهب، خطيبا مصقعا في المنتديات، وواعظا ثائرا في المساجد، وكاتبا بليغا في الجرائد، فقد تجرع في سبيل رسالته تلك المرائر، وقارع النكبات، وجهاده في سبيل جريدة "الإصلاح" دليل إثبات على ذلك "(7) وهو نفسه يخاطب جريدة "البرق" والمشرفين عليها "... وأعدكم وعدا صادقا بأني - إن شاء الله - سأملأ "البرق" بمقالاتي الرعدية وصواعقي الزجرية، وسأرسل على رؤوس الشياطين

كل ما استطيعه من شهب نارية، فأبعث إلى مجلة "الشهاب" ما يليق بها من كل ما يتفق مع خطتها، وارسل بما يلتئم مع "البرق" ويخطف سناء أبصار المجرمين "(8).

ثالثا : هناك ثغرات كثيرة في حياة الشيخ الطيب العقبي، لو سدت لانكشفت لنا صورة أكثر وضوحا. من هذه الثغرات ضياع جزء كبير من شعره، خاصة ما قاله في الحجاز والمشرق بعامة، قبل الرجوع إلى الجزائر. وما سلم من الضياع، ما يزال متناثرا بين الصحف والرفوف، بعيدا عن متناول الباحثين والدارسين، ومثل ذلك يقال عن مقالاته وخطبه بخاصة.أملنا كبير في زميلنا الأستاذ كمال عجالي، الذي يحضر رسالة الدكتوراه حول أدب العقبي، أن يسد هذه الثغرة .

مع ملاحظة أن أغلب شعره قاله في شبابه، فلما انشغل بالمصالح العامة، وبالقضايا الإسلامية والعربية والجزائرية ... وغرق في بحر الإصلاح والتصحيح والتغيير، وانصرف إلى البحث عن أسباب النهضة، والقيام من الكبوة، انشغل عن الإبداع. فلتراع هذه الملاحظة .

رابعا : عوامل تكونه وتثقفه ومصادرهما متعددة ومتنوعة .

خامسا : هذه الحياة الحافلة بالأعمال الكبيرة، كانت محفوفة ومليئة بالمخاطر والنكبات والعراقيل ... من هذه النكبات :

1- نفيه من الحجاز إلى تركيا؛ بسبب اشتراكه في ثورة الشريف حسين ضد الأتراك، واتهامه بنشر فكرة القومية العربية .

2- اتهامه بمعاداة رجال الجمعية، ومناوأة أفكارها وأعمالها؛ وذلك بعد استقالته من إدارتها، وتخليه عن رئاسة تحرير جريدة البصائر، وقيام الحرب العالمية الثانية ووفاة ابن باديس. وقد كان لأنصار ابن باديس - حسب رأي أحمد مريوش - دور في توسيع الشقة بين العقبي وكثير من المصلحين وبعض رجال الحركة الوطنية " وهكذا اصبح العقبي محل شك الكثير من اتباع ابن باديس. وأنصار حزب الشعب معا. والمتصفح لجريدتي الشعلة والبصائر الثانية، يجدهما شديدتي اللهجة ضد العقبي، فقد اعتبرته الشعلة جاسوسا خائنا، خدم فرنسا في الحجاز، وفي الجزائر أثناء عضويته في جمعية العلماء وبعدها ".(9)

3- مضايقة فرنسا له منذ حلوله في بسكرة، وعرقلة نشاطه فيها، وفي الجزائر العاصمة. يذكر الشيخ محمد علي دبوز أن الشيخ الطيب العقبي رجع إلى الجزائر وحل ببسكرة يوم 04 مارس (1920م)، فتخوف منه الفرنسيون، فاعتقلوه نحو شهرين، فدافع عنه أخواله (آل خليفة) والسيد (ابن قانة) فأطلقوا سراحه (10).ويقول أحمد مريوش "ولعل ما يدل على شدة اهتمام المخابرات الفرنسية بالحركة الإصلاحية التي أدخلها العقبي على الجزائر، تلك العملية الاستفزازية وحملة التفتيش التي تعرض إليها في منزله يوم 23 سبتمبر 1921م، إذ أخذت المخابرات كل ما وجدته من أوراق ووثائق وإنتاج أدبي وفكري "(11) هذه المضايقات تمثلت في بعض القوانين والقرارات التي أصدرتها فرنسا لإجهاض الحركة الإصلاحية، وكان المستهدف الأول الشيخ الطيب العقبي كقرار ميشال الصادر يوم:18 فيفري 1933م الذي يمنع العلماء من الوعظ في المساجد. وتجسدت في اتهامه باغتيال ابن دالي كحول سنة 1936م.

4- اتهامه بالخيانة والتخاذل ونقص في الوطنية، ومن ثم تم تهميشه، بل الهجوم عليه بمختلف أنواع الهجوم. وقد رد الشيخ الطيب العقبي على هذه الافتراءات والاتهامات بقوله :" فمن رمونا بعد هذا كله بالخيانة والغدر وبيع الضمير ... قلنا لهم تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ..." .(12)

لمسنا هذا الهجوم عليه في كثير من المواقف والأحداث، التي فيها مجال فسيح للآراء والنظرات، إذ ما كان ينبغي أن يفرز النتائج الخطيرة والسلبية على الوحدة والتضامن ...أذكر من بين هذه الأحداث المؤتمر الإسلامي سنة 1936م.برقية التأييد لفرنسا في الحرب العالمية الثانية، استقالته من إدارة جمعية العلماء؛ بسبب اختلافه مع بعض أعضائها في وسيلة العمل لبلوغ الغاية من الإصلاح(13). إعادة إصداره لجريدة الإصلاح؛ رغم توقف جرائد جمعية العلماء. عضويته في لجنة الإصلاحات الإسلامية 1943م(14). بعض المتاعب التي لحقته وهو يمارس عمله في لجنة إغاثة فلسطين، خاصة زيارته فلسطين وشرق الأردن، ومعاينته

حال اللاجئين الفلسطينيين، ثم علاقته بثورة التحرير ...

هنا نشير إلى هجوم جريدتي "البصائر" و"الشعلة" عليه، والصراع الذي كان بينه وبين هذه الجرائد المناوئة له.خاصة جريدة "الإصلاح" التي كان يصدرها. وجريدة "عصا موسى" التي تعبر عن اتجاهه ونظرته، وتترجم أسلوبه حسب رأي أحمد مريوش (15).

5- صراعه مع بعض أعضاء جمعية العلماء، مثلا فيما يتعلق بإصدار جريدته "الإصلاح" سنة 1927م، لم يجد أين يطبعها، فطبع العدد الأول في تونس ولم يتمكن من إصدار العدد الثاني إلا بعد عامين، لعراقيل إدارية استفزازية في الجزائر وتونس*. إذا كان العدد الأول قد صدر يوم 08 سبتمبر 1927م فإن العدد الثاني قد صدر يوم 5 سبتمبر 1929م. وقد امتنعت مطبعة الشهاب الإسلامية بقسنطينة عن طبع الجريدة لأسباب غير معروفة(16) لكن الشيخ الطيب العقبي يقول:

" إن مطبعة الشهاب أساءت إلى والى كل من يحاول طبع جريدة بتونس إساءة، وهذا زيادة على تسجيلها الكذب والسفه على نفسها، ونقضها اليوم ما اعتذرت به أمس، وبعد هذا كله فإني أحتج على هذه المطبعة، وأخاطبها علنا كما كانت اعتذرت علنا في شأن طبع جريدة الإصلاح بها ... هذا ما عنّ لي أن أكتبه بحرية تامة وصراحة، ورجائي من حضرة مدير الشهاب أن ينشره تماما..."(17) قال أيضا :" مضت السنة الأولى والثانية لهذه الجريدة، ولم يبرز منها غير عدد واحد ... ولم يشأ الله لنا أن نظفر ببلوغ المراد ونيل الأمنية، إذ لقينا من المثبطات، وفقدنا من البواعث والدواعي ما كدنا نيأس معه من مداومة العمل، ومواصلة السير ... فإننا لم نستسلم للعوامل التي تضعف لمثلها العزائم وتخور القوى، بل بقينا نساير الظروف، ونقدر الصعوبات قدرها، فصبرنا وصابرنا ورابطنا، وعملنا للإصلاح ما استطعنا ..." .(18)

سادسا :مفاتيح شخصيته :

المتصفح لما كتبه الطيب العقبي، والمتأمل في مواقفه، والواقف على ما يدور في حركاته ونشاطه، يستطيع أن يعثر على بعض الكلمات التي يتمحور حولها تحركه ومن ثم يقف على حقيقة شخصيته، وعن طبيعة اهتماماته. هذه الكلمات هي : الإصلاح، الإسلام، العروبة، الوطن، الوحدة.

جاء في تعريف جريدته الإصلاح : " جريدة إسلامية حرة، تناضل في سبيل الدين والعروبة والوطن " شعارها الآية الكريمة ﴿... **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ﴾ (19) كما جاء في العدد الأول أن الجريدة أنشئت « للعمل على تحطيم الخرافات وهدم الأوهام، كواجب أول لتنوير الأفكار، وتهذيب الرأي العام » كما جاء في العدد نفسه ما يدل على تصدي العقبي للخرافات والأوهام أيضا :" وأهم من كل مهم وأولاه بالتقديم عندنا مسألة العقائد والكلام على تصحيحها ... وليس من الممكن جمع كلمة الأمة وتوحيد أفكارها ما دامت مختلفة في عقائدها، متباينة في مشاربها ... وإن اعتقادنا الجازم بأن الإصلاح لآخر هذه الأمة، لايصلح إلا بما صلح به أولها، يحملنا على ذلك، ويوجب علينا أن نتحمل من أجله كل أذى وأن نعمل صباحا ومساء لتأييد هذا المذهب، ونصرة القائمين به ولو كره المبطلون ... "(20).

وقال أيضا موجها كلامه إلى العلماء، طالبا منهم توحيد الجهود، وتكثيف التعاون في سبيل تحقيق شعار الإصلاح والتغيير نحو الأحسن :" أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري، إن التعاون أساس التآلف، ولاتحاد شرط النجاح، فهلموا إلى تحقيق هذا الهدف، بتأسيس حزب ديني محض، غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام، والرجوع به إلى أصل الكتاب والسنّة، وما كان عليه في الحقب الأخيرة ..."(21) .

إذن إن حركة الإصلاح عند العقبي تنطلق أساسا من الفكرة الإسلامية المرتبطة بالعروبة :" كنا وما زلنا في فريق المؤمنين، وحزبنا هو حزب المسلمين، عربا والى العرب ننتمي وننسب، بالإسلام والعروبة فقط نعتز ..."(22) هذا ما لاحظه المستشرق "جاك بيرك" في نشاط الطيب العقبي بصفة بارزة ودائمة فقرر أن الشخصية الجزائرية عند العقبي أساسها الإسلام والعروبة (23).

من هذه النصوص وغيرها يتبين لنا الفلك الذي كان يدور فيه الطيب العقبي في نشاطه، وتتكشف لنا شخصيته الحقيقية، وهو ما يساعدنا - إذا ما وعينا

هذه المفاتيح، ووقفنا على حقيقة ما تدل عليه - على فهم كثير من المواقف والآراء، التي قد تبدوا متباينة أو غامضة أو غير منسجمة مع مبادئ الإصلاح، والروح الوطنية. لكن الدراسة المعمقة، والبحث الدقيق، والتحليل المستفيض المركز، قد يحل كثيرا من الألغاز، ويميط اللثام عن كثير مما كان مستورا ومخفيا. ويزيل الإبهام عن بعض ما كان غامضا أو عسير الفهم. كل ذلك بفضل الوقوف على المفاتيح التي تحكم شخصية العقبي ووعي حقيقة هذه المفاتيح .

سابعا : الجانب النفسي :

تعرض الشيخ الطيب العقبي لهزات نفسية عميقة، أثرت عليه تأثيرا كبيرا؛ مما جعله يشعر بإحباط نفسي، وبخيبة أمل، ويحس بالاحتقار والمهانة، وتخلي الأصدقاء عنه، وإشهار حملات عنيفة ضده. لقد نال الطيب العقبي أذى كبير من الاستعمار، وذاق منه مرارة الإهانة والمضايقة كثيرا، فقد طرده من المساجد، ونكد عليه حياته، وإحاطه بشبكة من الجواسيس، تحصي عليه أنفاسه، وترصد حركاته وسكناته، وتلفق عليه اتهامات القتل أو التحريض عليه - على الأقل - يقول أحمد مريوش :" إذا كان العقبي قد ذاق مرارة سجن بربروس، فإنه لم يتخلص من ذلك الهاجس النفسي، الذي ظل يلازمه، بعد أن أفرج عنه مؤقتا؛ ريثما يتم التحقيق النهائي في قضيته مع إمكانية إرجاعه إلى السجن متى شاء قاضي التحقيق، وقد تم ذلك فعلا، بعد البراءة الأولى، واعتبر العقبي من المجرمين، ومثل أمام محكمة الجرائم، ويبدو أن هذه الفترة المضطربة من حياة العقبي التي دامت ثلاث سنوات، قد أصابته بضعف شديد "(24) يعلق الأستاذ محمد الطاهر فضلاء على هذه الفترة الحاسمة في حياة الشيخ، التي اتسمت بهذا الضغط النفسي عليه بربطه بكثير من الأحداث الخطيرة التي اصطنعتها فرنسا لضرب رموز الحركة الإصلاحية في العمق. وعلى رأسهم الشيخ الطيب العقبي. وأبدى استغرابه من بعض الناس الذين انطلت عليهم الحيلة، وخفي عنهم هدف الاستعمار من كل ذلك؛ فنالوا من شخصية الشيخ :" ... وهي الفترة الحرجة والحاسمة التي وجد بعض الناس فيها ثغرات ضعف، لم يكلفوا أنفسهم عناء التأمل في ظروفها، ولم يحاولوا التكيف مع

هذه الظروف ليخرجوا منها، وقد سلمت نفوسهم من الغيظ، وسمت عقولهم عن الحنق، وصفت قلوبهم من الشحناء والبغضاء "(25) والشيخ الطيب أحس بهذا الضغط النفسي عليه، وعلم أن الاستعمار لن يتركه هكذا من دون إثارة القلاقل في حياته، ومن دون زرع الأشواك في طريقه، بل الموت في طريقه فخاطب زميليه الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي،- بعد اغتيال المفتي كحول وتفتيش نادي الترقي؛ للبحث عن دليل إدانة جمعية العلماء - وأمرهم بأن يستعدوا نفسيا لتقبل كل ما يصيبهم من الاستعمار وأن يعملوا على تخطي الأزمة المرتقبة بمضاعفة الجهد في الكفاح والنضال ضده :" نحن الثلاثة، أحدنا معرض للموت، وأن فرنسا لا تفوتها هذه الفرصة لأخذ الثأر منا وتشتيت شملنا، ولذلك علينا أن نعاهد الله ونقسم اليمين بالمصحف الشريف لمواصلة نهج الإصلاح والدفاع عن رجاله، خصوصا وأن الأمة الجزائرية أضحت مستعدة للتضحية والموت لإعلاء كلمة الحق " .(26)

بدا ضعف الشيخ الطيب العقبي، وظهرت الانتكاسة النفسية - إن سمحنا لأنفسنا بهذا التعبير - في تغيير العقبي لطريقة تعامله مع بعض الأحداث، إذ أظهر الليونة واستعمل التقية في سلوكه؛ كموقفه من برقية التأييد والمساندة لفرنسا في الحرب العالمية الثانية، التي عرضت على جمعية العلماء، فتحمس لها الطيب العقبي، وعارضها جل أعضاء الجمعية. ولما فشل هو في إقناع الإدارة للأخذ برأيه، أحس بخيبة الأمل، وشعر بانقباض نفسي، واعتقد أنه قد أهين ومسّ في كرامته، فقدم استقالته من إدارة الجمعية، أسس جمعية الإصلاح الإسلامي. كما يبدو العقبي كئيبا حزينا متأثرا نفسيا، بعد تخليه عن رئاسة تحرير جريدة البصائر(27) أو استغنى عنه كما ذكر ذلك الأستاذ أحمد بن ذياب، وذلك بسبب ضعف الافتتاحيات التي كان يكتبها الشيخ؛ إذ لم تكن في مستوى الرد على هجومات العدوّ، وبعض الأحداث التي كانت تقع. فأسندت مهمة رئاسة تحرير الجريدة إلى الشيخ مبارك الميلي. وتحول مقر إصدارها من الجزائر إلى قسنطينة .(28)

هل هذا التعليل أو السبب صحيح أو معقول أم لا؟ أما الأستاذ أحمد مريوش فقد ذكر

أسبابا أخرى، ينظر فيها وتناقش(29) في خضمّ هذه الأحداث الحاسمة الخطيرة المتساوقة، التي كانت تستهدف شخصية العقبي، شعر بالمهانة والاحتقار من الإدارة الفرنسية، وفهم أن رجال الجمعية تخلوا عنه في محنته (اتهامه باغتيال كحول) وعدّوا ذلك قضية شخصية، وليست قضية أمة. هكذا كان يعتقد؛ بسبب الحالة النفسية التي كان يمر بها .

قال مسجلا هذا الإحساس بعد خروجه من إدارة الجمعية " أما رجال الجمعية فقد كانوا يزيدون على الحطب، ويعبّون الليسانس(البنزين) اتركوني وخلوا سبيلي ..." (30).

كما كان اسمه مرتبطا بكثير من الأحداث والمشروعات الساخنة، المعروضة للنقاش والتداول، وإعطاء الرأي فيها. وكان موقف العقبي فيها يفسّر – أحيانا – تفسيرا خاطئا، أو يشوّه ويقدم تقديما مغاير تماما لما أدلى به هو. ففي قضية التجنيس الذي كان رأيه فيها صريحا، هو رفض التجنيس جملة وتفصيلا. وقد فتحت جريدته "الإصلاح" صدرها للقضية وحثت الكتاب على الكتابة حولها ومناقشتها (31) يتهم بإباحة التجنس. فرد على ذلك :" أما ما نسبته اليّ بعض الجرائد، وأخذت تلوكه ألسنة بعض العباد في كثير من مجالس الجاهلين المغرضين، وهو أني أبحت التجنس، وأفتيت بأن من يرفض أحكام الشريعة الإسلامية ليس بمرتدّ، فهو محض كذب وافتراء وغير الحقيقة، وخلاف ما أعتقده وأدين به، وإني أبرأ إلى الله من نسبه اليّ، ومن قاله أو نسبه اليّ بعد اليوم، فالله ولي الانتقام منه، وهو حسبي ونعم الوكيل " .(32)

كما أن الاختلاف بين المصلحين ابن باديس والطيب العقبي قد ترك أثره في نفس هذا الأخير، وقد عبر تعبيرا نفسيا عن الفوارق بينه وابن باديس، من حيث العوامل التي يتوفر عليها زميله، التي كان سببا في بزوغ نجمه. وحرمانه هو منها. لذا كان دون سمعة أخيه :

لولا الحوادث قد حططن رحالا بحماي، كنت الشاعر المفضالا وسموت في طلب الكمال مبرزا وتركت خلفي في الحضيض رجالا (33)

إلى غير ذلك من الهزات التي تعرضت له حياته المليئة بالمتاعب والأهوال، التي جرته له تحركاته، وعمله الدؤوب في أكثر من

ميدان، وصموده في أكثر من جبهة، واحتكاكه بأكثر من فئة ...

يضيف الشيخ محمد عي دبوز سببا آخر، جلب للشيخ الطيب العقبي المتاعب، وهو أنه لم يرضخ لنفوذ الأغنياء، ولا لاغراءاتهم، فهو يشمخ عليهم، ولا يحترم إلا ذوي التقوى، لذا كانت بينه وهؤلاء الأغنياء نوع من الجفوة، فانفضوا عنه، ومالؤوا العلماء الضعفاء. كما يكشف عن جانب آخر من حياته النفسية، " كان شجاعا شجاعة خارقة، صريحا في قوله، لايداهي ولايداجي، وشجاعته وصراحته وقوة تأثيره في الجماهير، وحبها له هي التي جعلته مرمى سهام المستعمرين وأذنابهم أكثر " (34).

من خلال ما ذكرناه نخلص إلى نتيجة لا جدال فيها، وهي أن الشيخ الطيب العقبي ظاهرة نفسية، في حاجة إلى دراسة معمقة موضوعية، لتفسير كثير من المواقف والتصرفات التي عرفتها حياته. حتى ينصف الرجل، ويسجل ما له وما عليه بكل نزاهة وإخلاص للحقيقة والمعرفة .

ثامنا : خلاصة القول :

1- كان الطيب العقبي صريحا في دعوته إلى الإصلاح؛ فحارب الاتكالية والاعتقاد في أهل الطرق. ونظر إلى الإسلام على أنه عقيدة وجهاد واجتهاد، كما كان له دور كبير في تصحيح المفهومات الإسلامية التي شوهها المبتدعون. قال في هذا المعنى :

حجتي القرآن فيما قلته ليس لي إلا على ذاك استناد مذهبي شرع النبي المصطفى واعتقادي سلفي ذو سداد (35)

ومبادئه الإصلاحية تتمثل فيما سجله هو بنفسه " أن لا نعبد إلا الله وحده، وأن لا تكون عبادتنا له إلا بما شرعه، وجاء من عنده " (36).

2- إن وجود ثغرات كثيرة في حياة العقبي، وكثرة خصومه من مختلف الفئات والاتجاهات، وعدم وضوح مواقفه أحيانا في بعض القضايا والأحداث وطبيعة مزاجه النفسي المضطرب؛ بسبب ما تعرض له من ضغوط ومضايقة، وبسبب تذبذب بعض مواقفه - ظاهريا - وبسبب تصريحات معاصريه بما يمس سمعته، وبسبب بعض أعماله، التي تتنافى - ظاهريا - مع المبادئ التي تبناها وانطلق منها في بداية نشاطه الإصلاحي. كل ذلك جعل شخصيته غير واضحة المعالم، يضاف إليه غياب كثير من المعلومات عن حياته، وكثرة

التأويلات والتفسيرات، وتباينها؛ انطلاقا من مواقف شخصية وحزبية ... وضياع كثير من نتاجه الأدبي، ومن ثم لا ينال حقه من التقدير والاحترام والإنصاف .

ونردد مع أستاذنا الشيخ محمد علي دبوز:" لو أنصفت الجزائر وبرّت بكل أبطالها، لسمّت ساحة الشهداء، التي يشرف عليها نادي الترقي (ساحة الشيخ العقبي) لأنه من أكبر من أعد الجزائر للثورة والجهاد في سبيل الله، وعلمها الاستشهاد لإعلاء كلمة الله وكان إمامهم في ذلك مع علمائنا الأبرار كلهم ".(37)

تاسعا : تساؤلات :

بعد كل ما عرضناه نقدم أسئلة، نلح على الباحثين الإجابة عنها :

- لماذا اشترك العقبي في ثورة الشريف حسين؟ وماذا كان دوره، حتى ينفى إلى تركيا ؟
- لماذا كان محل تقدير علماء الحجاز وزعمائها ؟
- لماذا سلطت الأضواء عليه كثيرا، من الأصدقاء والأعداء على السواء ؟
- لماذا ارتبط اسمه بالإصلاح؛ رغم هذه المفارقات الذي تبدو في حياته ؟
- لماذا ركز الاستعمار عليه كثيرا ؟
- لماذا كان له خصوم كثيرون، ومن مختلف الفئات والاتجاهات ؟
- نتساءل مع أحمد مريوش : " ونحن لا ندري لماذا اختير العقبي دون غيره لأن يكون محاضرا دائما في نادي الترقي ؟ وهل قصد مدير الشؤون الأهلية (ميرانت) بذلك خنق الحركة الإصلاحية، التي دعا إليها العقبي في الزيبان ؟ أم استهدف من وراء ذلك نقل نشاط العقبي إلى مقربة منه، ومن الولاية العامة؛ حتى يوظف هذا الأخير لخدمة الإدارة الاستعمارية كغيره من رجال الدين الرسميين؟ ".(38)
- بماذا تفسر طبيعة أو مغزى المقالات التي كتبها في جريدة الإصلاح الثانية: مدحا وإطراء لفرنسا ومساندة لها في الحرب العالمية الثانية، وذلك بالمقارنة مع مبادئه ومواقفه من فرنسا وموقفها منه قبل سنة 1936م ؟.
- نتساءل في الأخير عن مكانة العقبي في الحركة الإصلاحية ؟وما هو دوره الحقيقي فيها ؟ ما مكانته في الحركة الوطنية ؟
- ما دوره في تفعيل الأحداث وتحريكها ؟
- لماذا يكون في كثير من الأحيان محور الأحداث

والصراعات : متعددة الأطراف ومختلفة الألوان والأصباغ ؟
الإجابة عن هذه الأسئلة كفيلة بإماطة اللثام عن كثير مما هو مستور ومخفي .

عاشرا : مقترحات :

- يجب دراسة فترة ما قبل استقالة العقبي وانعقاد المؤتمر الإسلامي وقيام الحرب العالمية الثانية، وما بعدهما، دراسة مقارنة، والتعمق في مواقف العقبي في الفترتين، وتتبع تطور الأحداث فيهما، وربط ذلك بالظروف والملابسات والمحيط بصفة عامة، وتحليل النتائج تحليلا معمقا موضوعيا.
- هناك محطات كثيرة في حياة العقبي يجب حصرها ودراستها دراسة معمقة.
- يجب دراسة شخصية العقبي دراسة نفسية، لتفسير كثير من ممارساته ومواقفه، التي وقفها تفسيرا موضوعيا.
- دراسة علاقة العقبي بجمعية العلماء وأعضائها بعد خروجه واستقالته من عضوية إدارتها.
- دراسة علاقته بحزب الشعب والحزب الشيوعي الجزائري، وحزب الوحدة الجزائرية، وبالجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها. وعلاقته بالطرقية وبفرنسا.
- القيام بدراسة معمقة وموضوعية لجريدة الإصلاح في مرحلتيها الأولى والثانية، دراستها في اتجاهها ومواقفها ومحتواها، وعلاقتها بالجرائد الأخرى، ومكانتها ضمن الحركة الصحفية الجزائرية.وبماذا نفسر المساندة الداخلية والخارجية لإعادة إصدار الجريدة؛ رغم الظروف التي صدرت فيها، و قد توقفت كل جرائد جمعية العلماء ...
- إسهاماته الصحفية، ورأيه في الصحافة، مع العلم أنه كتب في الصحف الوطنية وغير الوطنية كـ: العصر الجديد، القبلة، المنتقد، الإصلاح، الشهاب، صدى الصحراء، البرق، الجزائر للزاهري، البصائر، السنة، الشريعة...
- وضع بيبليوغرافيا عن حياته (ما كتبه وما كتب عنه) تسهل أو تساعد الباحثين على دراسة شخصيته .
- دراسة طبيعة الخلاف بين العقبي وزملائه المصلحين، دراسة معمقة موضوعية. فقد قيل عن ذلك الشيء الكثير للعقبي وعليه ..

* هذه الآن موضوعات مقترحة للدراسة :

- العقبي ونادي الترقي وعمله الدعوي فيه
- العقبي وجمعية العلماء
- العقبي ونشاطه الإصلاحي في العاصمة .
- العقبي ونشاطه الإصلاحي في بسكرة .
- العقبي ونشاطه الإصلاحي في الحجاز .
- العقبي شاعرا .
- العقبي كاتبا .
- العقبي خطيبا .
- قراءة في فكر العقبي .
- قراءة في مواقف العقبي .
- أثر القرآن في أدب الطيب العقبي .
- السخرية في أدب العقبي.

الهوامش

(1) اقترح عقد ندوة لعرض هذه الرسالة ومناقشتها .

(2) محمد علي دبوز : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ج2 ، المطبعة العربية، الجزائر ط1 سنة 1391هـ/ 1971م . ص:114 .

(3) محمد الطاهر فضلاء من أعلام النهضة الوطنية : الشيخ الطيب العقبي مجلة الثقافة وزارة الإعلام والثقافة (الجزائر) العدد:66 ، محرم، صفر 1402هـ/ نوفمبر ديسمبر 1981 ص 51 .

(4) وأن كان هذا الحدث لا يذكر إلا قليلا .

(5) ينظر : LA DEPECHE ALGERIENNE 14 AOUT 1956

(6) أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير معهد التاريخ بوزريعة جامعة الجزائر السنة الجامعية 1991-1992م ص:177 .

(7) د/ محمد ناصر : المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها تطورها أعلامها (1903-1931م) مج1 (ش.و.ن.ت) الجزائر س: 1398هـ/1978م ص: 132 .

(8) ينظر المرجع السابق ص:132-133 وجريدة "**البرق**" « الطيب العقبي » "إلى الأمام" ع: 7 (1927/04/18م

(9) الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ص :442 ينظر أيضا جريدة "الشعلة" ع:38 (1950/09/14م) .

(10) ينظر نهضة الجزائر الحديثة ...مج2 ، ص: 108 .

(11) الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية.ص:102، ينظر أيضا جريدة "الشهاب" ع: 7 س : 1 ، (1925/12/23م)

(12) الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 442 ينظر أيضا جريدة "الإصلاح" ع: 21 (1940/04/05م) .

*) ينظر المرجع السابق ص: 298-299 .

(13) ذكر الأستاذ أحمد مريوش جملة من الأسباب التي أدت إلى استقالة الطيب العقبي من إدارة الجمعية. وهي في حاجة إلى مناقشة. ينظر المرجع

السابق: ص:290-311 وكذا ص: 350 .

(14) ينظر تصريحات الشيخ الطيب العقبي حول عضويته في هذه اللجنة. المرجع السابق، ص: 365-366 و ALGER REPUBLICAIN , 20 DECEMBRE 1943.

(15) يقول أحمد مريوش:" إن جريدة الاصلاح بعد توقفها حولت اسمها الى عصا موسى التي كانت في خدمة الوجهة الاستعمارية " الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 325 .

*) ينظر محمد الصالح الجابي، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962) ص: 198 وما بعدها .

(16) ينظر الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص 91. .

(17) جريدة "الشهاب" ع: 126 س3 (1927/09/15م) .

(18) جريدة "الاصلاح" ع: 14 (1930/09/25م) .

(19) سورة هود الآية 88 . (20) جريدة "الإصلاح" ع: 1 (1927/09/08م) .

(21) جريدة "الشهاب" ع: 3 (1925/11/26م) .(22) جريدة "الاصلاح" ع: 68 (1947/11/14م).

(23) ينظر الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ص: 471، وأيضا : JAQUES BERQUE .LE MAGHREB ENTRE DEUX GUERRES , 3edi (éditions du seuil . PARIS 1979) p. 416 .

(24) الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ص: 303 .

(25) مجلة الثقافة ع: 66 ، نوفمبر ديسمبر 1981م، ص: 49.

(26) الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ص: 245-246 .

(27) كان ذلك في سبتمبر 1937م .

(28) ذكر ذلك في بسكرة بمناسبة انعقاد الملتقى الثاني للشيخ الطيب العقبي يومي: 8-9 نوفمبر 1995م .

(29) ينظر كتابه : الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 300-302 وجريدة البصائر ع: 81 (1937/12/17م) .

(30) جريدة "النجاح"، ع: 2194 س19 (1938/09/30م). ينظر أيضا أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 301 .

(31) ينظر المقالة الصحفية الجزائرية ... مج2، ص: 372

(32) جريدة البصائر ع: 77 س2 (1937/07/20م) ينظر أيضا أحمد توفيق المدني "حياة كفاح"، ج2، ص: 159. وأحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 429-430 .

(33) جريدة "الاصلاح" ع: 20 (1940/03/13م)، وأحمدمريوش، المرجع السابق، ص: 294 .

(34) نهضة الجزائر الحديثة ... مج2، ص: 114 .

(35) الشيخ مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره ... ص: 284.

والشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 71 .

(36) جريدة "السنة"، ع: 2 (1933/04/17م) .

(37) نهضة الجزائر الحديثة ... ج2، ص: 124 .

(38) الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ص: 126.